

صفحة تصغر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية
iraqipa@hotmail.com

هل الهوس بالسلطة مرضنا القومي؟! روية في سيكولوجية الحاكم العربي

السلطة تلك الفاتنة الساحرة ، أغوت الكثيرين علما مر التاريخ ، سواء من كانوا يسعون لها بحد ذاتها ، أم يسعون لها من أجل منافعها المادية غير الشرعية ، وسواء أكانوا عربا أم من قوميات أخرى. ولنا في التاريخ العربي شواهد تاريخية كثيرة تشير إلحاً أن للعرب افتقانا خاصا بالسلطة ، منها مأساة الإمام الحسين (ع) والثلة التي معه ، فما قتله يزيد إلا من أجل أن يتبّت أركان حكمه وسلطانه. وما قتل المأمون أراه الأمين الا في صراع من أجل السلطة.

الحاكم المهووس بالسلطة رجل مريض يسعى لتعويض نقائصه بالهيمنة على الآخرين

علي تركي نافل
جامعة القادسية

بالحرية والديمقراطية). كما حصل في حالة العراق. فلولاً ولع صدام حسين المرضي بالسلطة لما عانى ملايين العراقيين طوال أكثر من ثلاثة عقود كل هذه العاناة، ولما انتهى به الأمر الى هذه النهاية البائسة، إذ كان بمقدوره الابتعاد عن الحياة السياسية منذ أن بدأت الأخطاء والهزائم تلاحق نظامه، معترفاً بضرورة أن يترك الأمر لمن هو أكفأ منه، لكن هذا الحب المرضي للسلطة والرغبة في استبعاد الآخرين هو الذي جعله يكابر ويرتكب الجرم تلو الجرم والحرب تلو الحرب والظلم تلو الظلم. ولكي يكتمل التحليل لا بد أن ننبه الى أن الجماعة المعتلة توصل الى سدة الحكم بالضرورة شخصاً معتلاً، فمثلاً سلم الشعب الألماني المعتل قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بنحو ست سنوات مقاليد السلطة لرجل معتل نفسياً هو (ادولف هتلر) الذي قاد الألمان الى الهاوية، فضلاً عن ضرورة التأكيد أنه لا يمكن لحاكم مستبد أن يبقى في الحكم طيلة هذه العقود الطويلة دون أن يتحمل جزءاً من المسؤولية أيضاً المجتمع الذي يحكمه ذلك الحاكم.

وبناء على ما تقدم نستطيع التأكيد أن السبب في الحب المرضي للسلطة هو عقدة الشعور بالنقص والتمركز حول الذات. كما يمكن التنبؤ بان صراعات الطفولة،عقدة أوديب وأوجه التمرد ضد الأب، غالباً ما تظهر في حياة الفرد (الحاكم) بعد ذلك في صورة



لا يمكن لحاكم يستبد أن يحكم عقوداً طويلة دون أن يتحمل من شأنه مسؤولية ذلك

عن ميدان بديل إذا ما تعذر الخسوس في الميدان الأصلي. وينطبق ذلك على شخصية السياسي المتشهي للسلطة، إذ تقدم له السلطة السياسية فرساً ممتازة لتعويض أوجه النقص والتقص العميقة والمريرة التي مر بها في طفولته مع أقرانه وأسرته وعموم المجتمع، ذلك إنها تهوي له امكانية (قذف أعدائه الى الجحيم) والسخرية السرية من الناس بوصفهم (دمى) يستطيع التلاعب بمصائرهم. ولا بد من الإشارة الى أن عقد النقص بأنواعها تتأتى من عوامل عديدة، منها

تأثير الخوف اللاشعوري من (الدونية). إن اتجاه الفرد للبحث عن القوة يتحدد عموماً بمحاولة تعويض تلك (الدونية) وقد يتم ذلك مباشرة بتحويل الدونية الأصلية الى إنسان يشعر بالنقص في بداية التدريب ويذل الجهد والتمسك، وقد يلجأ الفرد الى شعوريا الى المرض النفسي أو العصاب تجنباً لحطاب البيئة فالبلشر في نظر أدلر (عقدة النقص) Inferiority التي هي سبب الامراض النفسية بوصفها (أي عقدة النقص) السبب وراء الرغبات غير السوية المنبئة

هل يؤدي الشعور بالذنب (وهو حالة نفسية خاصة) الى الإصابة بقرحة المعدة والذبحة الصدرية وتهيج القولون وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب التاجية (وهي أمراض عضوية)؟

نبدأ أولاً بتحديد مفهوم الشعور بالذنب Feeling of Guilt، ولدينا عند في الأدبيات النفسية تعريفات متنوعة. فبعضها تعد الشعور بالذنب حالة نفسية ايجابية لأنه يمثل حالة وعي الذات ازاء أي تصرف شائن، فيما تربطه تعريفات أخرى بالسلوك السيء الذي يخرق المعايير الاجتماعية للسلوك الجيد. وهناك من يرى في الذنب أنه شعور واعم يدركه الفرد ، فيما يرى آخرون أنه شعور غير واعم ، لا يدرك الفرد أسبابه.

الشعور بالذنب وعلاقته بالأمراض النفسجسمية

أ.د. قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية

الضعف والنقص والقصور والدونية والاحساس بالذنب، ذلك أن بنية العائلة العربية تقوم في نظره على الأوامر والتوبيخ والتمنع والتخويف والتوبيخ والتخجيل والاستهزاء وتوليد الشعور بالذنب. ويعيداً عن هذه الأحكام الأخيرة التي يبدو فيها شيء من المبالغة، نخلص الى أن فريقاً من الباحثين توصل الى أن الشعور بالذنب يمكن أن يكون سبباً رئيساً أو مساعداً في الإصابة بعدد من الاضطرابات النفسية، خاصة الكآبة والقلق ولوم الذات الشديد وكره النفس وتدني احترام الذات، فيما توصل فريق آخر الى أن الشعور بالذنب يمكن أن يكون له دور ايجابي في عملية التكيف مع الآخرين، عندما يشعر الفرد أنه ارتكب خطأ أو الحق أي بأخرين، فيعزى الى اصلاحه، شرط أن يكون الشعور بالذنب بمستوى معتدل وضمن حدود مده الزماني.

الأعراض النفسجسمية ... تعبير النفس بلغة الجسم

اختصاراً من ألك عزيزي القاريء الكريم، نقول أن الأمراض النفسجسمية (السيكوسوماتية) هي أعراض لأمراض جسدية المظهر في عضو أو أكثر، لا يجد لها الطبيب المختص عاملاً مرضياً عضوياً مشخفاً بيقين ثابت، فتعزى أسبابها الى عوامل نفسية، من بينها الضغوط أو التوترات النفسية وخبرات الطفولة الصادمة، مثل (عقدة التكال) التي تولد القرحة، و(عقدة الفراغ) التي تولد الربو، أو قد تكون ناتجة بسبب الخوف من التعيير الصريح عن الحالات الانفعالية (كبت الغضب أو الكره مثلاً). هذا يعني أن (النفس) عندما تعاني ضغوطاً اجتماعية أو اقتصادية أو عاطفية أو أسرية، ولا تستطيع تصريف هذه الانفعالات، فإنها (النفس) تتحدث عن نفسها بلغة الجسم؛ أي تتكلم حالها بالآخرين ليس بلسانها الصريح، إنما بأعراض أو أمراض جسدية، والمدهش أن لغة الجسم هذه تكون متعددة (اللهجات) - إن جاز التعبير - من بينها: أنواع القرحة وأمراض القلب التاجي، وتهيج القولون والذبحة الصدرية وارتفاع ضغط الدم وآلام

يحترمون القانون لا بدافع الخوف فحسب، وإنما أيضاً لأنهم يشعرون بالذنب عندما يخرجون عليه ولا يمكنهم التخليص منه إلا بعبء تمنحه السلطة، يكون مشروطاً بندم الذنب وعودته الى الخضوع بعد ايقاع العقوبة به وتقبله لها. ولا يخرج من هذه الحلقة المغلقة الا القلة أمثال (بروميثيوس)، فعلى الرغم من أن العقوبة التي أنزلها به (زيوس) كانت بالغة القسوة، إلا أنه لم يخضع ولم يشعر بالذنب، لأنه كان يعرف أن أخذ النار من الآلهة واعطاها للبشر لم يكن الا شفقة عليهم. لقد خرج عن قواعده ولكنه لم يرتكب إثماً، فحطم المعادلة القائلة أن الخروج عن الطاعة يؤدي الى الشعور بالذنب، شأنه في ذلك شأن أبطال البشر من الشهداء، كما يرى فروم.

نغادر الفرويديين، ونتحول الى العرفيين، ونقف عند (بياجيه) الذي انشغل بالنمو الأخلاقي. فهو ينظر الى الضمير بأنه مجموعة من المعايير الذاتية في داخل النفس البشرية، تبدأ بالتضح لدى الطفل عندما يستطيع أن يميز ويقيم الأخلاق على أساس المواقف التي يتعرض لها. وهذا مشروط بالتطور الإدراكي لتقويم الأخلاق واستجابة الفرد للقوانين بوصفها قرارات منطقية تخدم العدالة والمساواة في الشؤون الإنسانية وهذا ما يقود الفرد الى الشعور بالذنب لدى مخالفته للمعايير الأخلاقية، ليس بشكل ملموس إنما على وفق أربع مراحل للوجوديين (رايهم، فلقد عد الفيلسوف الوجودي (كيركجارد) الشعور بالذنب بأنه خبرة ذاتية مرتبطة بنوع القرارات التي يتخذها الفرد في حياته. ويطرح بعض الوجوديين مفهوم ((الذنب التكيفي)) Adaptive Guilt بوصفه الاحساس بالوعي الذاتي الذي يحفز الشعور بالندم، فيدفع صاحبه الى القيام بإصلاح ما أخطأ أو ما سببه من أذى. وهناك باحثون عرب يهتمون التربوية والنتشئة الأسرية بأنها تنمي الشعور بالذنب لدى الأطفال، إذ يستنتجون على بحوثهم بأن هذه التربية (أي العربية) تنمي في الانسان مشاعر

الاشياء الواقعة في متناول أيديهم، وقد يضررون رؤوسهم بالصدراّن اذا لم يكن هناك من يدبيل يضرئونه. ومهما يكن الشكل الذي تأخذه يمكن الغضب، فعلى الأم أن تدرك أنها ظاهرة طبيعية عادية. فقد أوضحت الدراسات العلمية أن (٦٠٪) من الأولاد، و(٤٠٪) من البنات يصابون بنوبات الغضب عندما تبلغ أعمارهم واحدا وعشرين شهراً. كما أوضحت تلك الدراسات أيضاً أن (٨٤٪) من الأطفال يصابون بنوبات غضب كثيرة عندما يبلغون من العمر سنة واحدة، في حين أن (٥٠٪) منهم يصابون بنوبة كبيرة كل أسبوعين على الأقل.

نحافظ مهمة لتقلب علما نوبات الغضب لدى طفلك

مكن هادئا، ولا تغضب. وإذا كنت في مكان عام لا تخلج، وتذكر أن مجال التراجع عنها، لأن مثل هذه الامور لا تنتج إلا المشاكل. ويجب ترك منفض لطفل لكي يهرب بواسطته من تنفيذ الأمر، دون أن يجرح كرامته. ويعني ذلك،غالبا، إيجاد عذر يبرر موقف الطفل، أو يصرّف نظره الى موضوع آخر. كما يجب بالأم أن تعامل الطفل باحترام تاما كما تعامل الشخص الراشد، فإذا لمس شيئا ليس من المتشغل أو تزعجته، بل تلفت انتباهه برفق الى عدم الإضرار بما يلمس أو عدم تعريض نفسه للآذى. وإذا فشل الطفل في القيام بعمل ما، فلا يجب أن تندفع الأم في غضب محاولة عمله بدلا عنه، بل من الممكن أن تراه برفق كيف يقوم به بنفسه.

الدوام وراء نوبات الغضب عند الأطفال نوبات الغضب، إذ يؤكد الاختصاصيون النفسيون أن هذه النوبات شيء عام وطبيعي عند جميع الأطفال بغض النظر عن الثقافة التي يعيشون فيها، ولا تعد ذات صبغة مرضية إلا حينما تكون عنيفة جدا، ومتكررة بكثرة، وتأخذ مدة طويلة نسبيا. ولا علاقة لنوبات الغضب عند الأطفال بسوء السلوك، وليس لها إلا علاقة قليلة باضطراب المزاج. إن نوبة الغضب الحقيقية هي عبارة عن انفجار عاطفي ينتج عن خيبة أمل عارمة لدى الطفل، وطاق هذه الصورة تقع خارج نطاق تحكم الطفل بنفسه.

الدوام وراء نوبات الغضب

كل طفل يولد وفي داخله حافز ذاتي يدفعه ليتعلم ويمارس وينجح في آلاف المهام الصغيرة التي تساهم في نموه. لكن الأطفال يختلفون في سرعة الغضب الذي يتملكهم حين يفشلون في الاستجابة لهذا الحافز، وفي مدى عنف رد الفعل الناتج عن ذلك الفشل. فمن الأطفال من يستمر في صبر ودأب في محاولة حل مشكلة ما، ومنهم من يستسلم للفشل بسرعة، ومن الأطفال من يعترف فيما بعد بفشله وينتقل بلباقة وهدهو إلى القيام بعمل آخر، ومنهم من يتأثر كثيرا بالفشل الذي يدفعه لأن يعبر عن ذلك بصرخة أو نوبة غضب ويلاطع فإن خيبة أمل الطفل وقوة احتماله تخلفن من يوم إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى. ومما يجدر بنا أن نتذكره هو أن الطفل الذي أصيب بالإحباط، وانطلق بالصراخ نتيجة لما أصابه، إنما يفعل ذلك لأنه يحسّال، والمحاولة في طريقة قد تعلم. كما أن الولدين قد يتبطان عزم ابنائهم لأنهم يحاولون عادة ممارسة سبط نوع من التحكم الكامل عليهم، وهو أمر يتعارض مع إحساس الطفل بضرورة نبيله الاستقلال الذاتي. وهذه المرحلة تبدأ عادة بعد سن الثالثة، وتكتنفها نزعات كثيرة في داخل الطفل لأنه يقع في تناقض بين نزعته إلى الاستقلال، وحاجته إلى المساعدة من أمه. فاية محاولة تبذلها الأم في هذه المرحلة للتحكم بشكل مباشر إلى تصرفات الطفل، تقوده إلى نوبات الغضب، فمن المحتمل أن يقاوم الطفل في هذه المرحلة محاولة أمه إلياسه ملابس معينة أو إجباره على تناول طعام معين، أو حمله على الذهاب إلى فراش نومه إذا لم

